**أثر المعصية فى الدنيا والاخرة**

**بن القيم الجوزية**

**من كتاب طريق الهجرتين**

**قوة العلم بسوء عاقبة المعصية وقبح أثرها والضرر الناشىء منها : من سواد الوجه وظلمة وضيقه وغمه وحزنه وألمه وإنحصاره وشدة قلقه وإضطرابه وتمزق شمله وضعفه عن مقاومة عدوه وتعريه من زينته بالثوب الذى جمله الله وزينه به والعصرة التى تناله والقسوة والحيرة فى امره وتخلى وليه وناصره عنه وتولى عدوه المبين له وتوارى ليعلم الذى كان مستعدا له عنه ونسيان ما كان حاصلا له او ضعفه ولا بد ومرضه الذى إذا استحكم به فهو الموت ولابد فإن الذنوب تميت القلوب ومنها ذله بعد عزه ومنها انه يصير اسيرا فى يد اعدائه بعد ان كان ملكا متصرفا يخافه اعداؤه ومنها انه بعد عزة تأثيره فلا يبقى له نفوذ فى رعيته ولا فى الخارج فلا رعيته تطيعه اذا امرها ولا ينفذ فى غيرهم ومنها زوالا امته وتبدله به مخافة فأخوف الناس اشدهم إساءة ومنها زوال الانس والاستبدال به وحشه وكلما إزداد إساءة إزداد وحشة ومنها زوال الرضى واستبداله بالسخط ومنها زوال الطمأنينة بالله والسكون اليه والإيواء عنده وإستبدال الطرد والبعد منه ومنها وقوعه فى بئر الحسرات فى يزال فى حسرو دائمة كلما نال لذة نازعته نفسه الى نطيرها ان لم يقض منها وطرا او الى غيرها إن قضى وطره منها زمايعجز عنه من ذلك اضعاف اضعاف ما يقدر عليه وكلما اشتد نزوعه وعرف عجزه إشتدت حسرته وحزنه فيالها نارا قد عذب بها القلب فى هذه الدار قبل نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ومنها فقره بعد غناه فإنه كان غنيا بما معه من رأس مال الايمان وهو يتجر به ويربح الارباح الكثيرة فإذا سلب رأس ماله اصبح فقيرا معدما فإما أن يسعى بتحصيل رأس ماله اخربالتوبة النصوح والجد والتشمير ( وألا) فقد فاته ربح كثير بما اضاعه من راس ماله ومنها نقصان رزقه فإن العبد يحرم الرزق باللذنب يصيبه ومنها ضعف بدنه ومنها زوال المهابة والحلاوة التى لبسها بالطاعة فتبدل بها مهانة وحقارة ومنها حصول البغضة والنفرة منه فى قلوب الناس ومنها ضياع اعز الاشياء عليه وانفسها واعلاها وهو الوقت الذى لا عوض منه ولا يعود اليه ابدا ومنها طمع عدوه فيه وظفره به فإنه اذا راه منقادا مستجيبا لما يأمره إشتد طمعه فيه وحدث نفسه بالظفر به وجعله من حزبه حتى يصير هو وليه دون مولاه الحق ومنها الطبع والرين على قلبه فإن العبد اذا نكت فى قلبه نكتة سوداء فإن تاب منها صقل قلبه وإن أذنب ذنبا اخر نكت فيه نكتة اخرى ولا تزال حتى تعلو قلبه فذلك هو الران قال الله تعالى ( المطففين 14 ) " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " ومنها انه يحرم خلاوة الطاعة فإذا فعلها لم يجد اثرها فى قلبه من الحلاوة والقوة ومزيد الايمان والعقل والرغبة فى الاخرة فإن الطاعة تثمر هذه الثمرات ولا بد ومنها ان تمنع قلبه من ترحله من الدنيا ونزوله بساحة القيامة فإن القلب لا يزال مشتتا مضيعا حتى يرحل من الدنيا وينزل فى الاخرة فإذا نزل فيها اقبلت اليه وفود التوفيق والعناية من كل جهة واجتمع على جمع اطرافه وقضاء جهازه وتعبئة زاده ليوم معاده ومالم يترحا الى الاخرة ويحضرها فالتعب والعناء والتشتت والكسل والبطالة لازمة له لا محالة ومنها اعراض الله وملائكته وعباده عنه فإن العبد اذا اعرض عن طاعة الله واشتغل بمعاصيه اعرض الله عنه فأعرضت عنه الملائكته وعباده كما انه اذا اقبل على الله اقبل الله عليه واقبل بقلوب خلقه اليه ومنها ان الذنب يستدعى ذنبا اخر ثم يقوى احدهما بالاخر فيستدعيان ثالثا ثم تجتمع الثلاثة فتستدعى رابعا وهلم جرا حتى تغمره ذنوبه وتحيط به خطيئته قال بعض السلف ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها ومنها علمه بفوات ما هو احب اليه وخير له منها من جنسها وغير جنسها فإنه لا يجمع الله لعبده بين لذة المحرمات فى الدنيا ولذة نا فى الاخرة كما قال " الاحقاف 20 " ( ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتك الدنيا واستمتعتم بها ) قالمؤمن لا يذهب طيباته فى الدنيا بل لا بد ان يترك لعض طيباته للاخرة واما الكافر فإنه لا يؤمن بالاخرة فهو حريص على تناول حظوظه كلها وطيباته فى الدنيا ومنها علمه بأن اعماله هى زاده ووسيلته الى دار إقامته فإن تزود من معصية الله أوصله ذلك الزاد الى دار العصاة والجناة وان تزود من طاعته وصل الى دار اهل طاعته وولايته ومنها علمه بأن عمله هو وليه فى قبره وأنيسه فيه وشفيعه عند ربه ربه والمخاصم والمحاج عنه فإن شاء جعله له وإن شاء جعله عليه ومنها علمه بأن اعمال البر تنهض بالعبد وتقوم به وتصعد الى الله به فبحسب قوة تعلقه بها يكون صعوده مع صعودها واعمال الفجور تهوى به وتجذبه الى الهواية وتجره الى اسفل سافلين وبجسب قوة تعلقه بها يكون هبوطه معها ونزوله الى حيث يستقر به قال الله تعالى " فاطر 10 " ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ) وقال تعالى " الاعراف " ( إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ) فلم لم تفتح ابواب السماء لاعمالهم بل اغلقت عنها لم تفتح لارواحهم عند المفارقة بل اغلقت عنها واهل الايمان والعمل الصالح لما كانت ابواب السماء مفتوحة لاعمالهم حتى وصلت الى الله سبحانه فتحت لارواحهم حتى وصلت اليه تعالى وقامت بين يديه فرحمها وامر بكتابة اسمها فى عليين ومنها خروجه من حصن الله الذى لا ضيعة على من داخله فيخرج بمعصيته منه الى حيث يصير نهبا للصوص وقطاع الطريق فما الظن بمن خرج من حصن لا تدركه فيه آفة الى خربة موحشة هى مأوى اللصوص وقطاع الطرق فهل يتركون معه شيئا من متاعه ؟ ومنها انه بالمعصية قد تعرض لمحق بركته وبالجملة فأثار المعصية القبيحة اكثر من ان يحيط بها العبد علما واثار الطاعة الحسنة اكثر من ان يحيط بها علما فهير الدنيا والاخرة بحذافيره فى طاعة الله وشر الدنيا والاخرة بحذافيره فى معصيته وفى بعض الاثار يقول الله سبحانه وتعالى : من اطاعنى فشقى بطاعتى ؟ ومن ذا الذى عصانى فسعد بمعصيتى**